

الفصل الثانى

مؤلفات كوندرسيه

كتب كوندرسيه الكثير من الأبحاث والمذكرات والكتب ، وتجمع كل مؤلفاته روح البساطة والسهولة وبلاغة الأسلوب وذلك رغم اختلاف موضوعاتها ، ولكنها كانت تحوى أفكاراً عميقة فى نفس الوقت .

بدأ كوندرسيه بالكتابة فى الرياضة ، وفيما يلى مؤلفاته الرياضية^(١) :

- (١) « مقالة فى الحساب التكاملى » باريس سنة ١٧٦٧ .
"Essai sur le Calcul Intégral", Paris 1767.
- (٢) « مذكرة عن مسألة الأجسام الثلاثة » باريس سنة ١٧٦٧ .
"Mémoire sur la Problème des Trois Corps," Paris 1767.
- (٣) « مقالات فى التحليل » باريس سنة ١٧٦٨ .
"Essais d'Analyse", Paris 1768.

وبعد فترة قصيرة تحول كوندرسيه عن الكتابة فى الرياضة واتجه إلى العلوم الإنسانية وكان إنتاجه فى العلوم الإنسانية ، غزيراً بالنسبة لكتاباته فى الرياضة .
ومن الممكن تقسيم مؤلفات كوندرسيه غير الرياضية إلى المجموعات الآتية^(٢) :

المجموعة الأولى : مؤلفات كوندرسيه فى التاريخ وتراجم السير وتحتوى على :

١ - التقريظات : وهى تشمل تسجيل آثار كبار المفكرين والأكاديميين ومدح أعمالهم ولقد اتبع كوندرسيه فى تلك التقريظات نظام التحليل والتعليق ، فمثلاً عند كلامه عن « بسكال » بدأ بعرض تاريخ حياته ثم بحث فى أفكاره ونظرياته وفحصها وحللها ونقدها . ومن الأخطاء الشائعة عند واضعى التقريظات المبالغة فى المدح ، ولكن عبقرية كوندرسيه أتاحت له تجنب الوقوع فى ذلك الخطأ فلم يتردد مطلقاً فى توجيه النقد لتحديد الخطأ والنقص إذا وجد نفسه أمام أراء تستحق ذلك .

(١) Severac, J.B. : Condorcet, Paris 1912, P.23

(٢) المرجع السابق ص ٢٠ .

في عام ١٧٧٢ كتب كوندروسيه تقریظات عن « روبرفال » Roberval
و « فرينكل » Frenicle و « ماريوت » Mariotte والأسقف « بيكار » Picard
و « دوجلاس » Duglas و « بلوندل » Blondel و « پراويت » Perrauet
و « هاجهينس » Huggens و « كراس » Charas و « رومر » Roemer .

في عام ١٧٧٣ ظهر تقریظ عن « فونتان » Fontaine

في عام ١٧٧٤ ظهر تقریظ عن « كوندامين » Condamine

في عام ١٧٧٦ ظهر تقریظ عن « باسكال » Pascal

في عام ١٧٧٧ ظهرت عدة تقریظات عن : ميشيل دي اوبتال Michel de l'hospital
و « تریدان » Trudaine و « بوردیلین » Bourdelin و « برنارد دي جيسيان »
Bernard de Jussien و « هالر » Haller و « روهو » Rohaut و « بارتولين »
Bartholin و « بويل » Boyle و « بليني » Bellini و « كوبر » Cowper
و « شيسلدين » Cheselden و « بيسونل » Peyssonnel و « بيتكارن » Pitcarne
و « فلامستيد » Flamsteed و « بيانكي » Bianchi و « ميرشنبورك » Murchenbrock
و « لويهنوك » Leuwenhoeck و « كيلنجسترن » Klingenstierns و « ليكات »
Lecat و « بيرلاسير » Pérelasur و « بيقيز » Bevis و « لين » Linné .

في عام ١٧٧٨ ظهر لكوندروسيه تقریظ عن « مالون » Malouin .

وفي عام ١٧٧٩ ظهر تقریظان أحدهما عن « الكونت أركي » Arci والثاني
عن « جوزيف دي جيسيان » Josephe de Jussien .

وفي عام ١٧٨٠ وضع كوندروسيه ثلاثة تقریظات عن « بيكيه » Buquet
و « ليتواد » Lieutand و « برتان » Bertin .

وفي عام ١٧٨١ ظهر لكوندروسيه خمسة تقریظات عن :

كورتانفو Courtanvaux و « موريبا » Murepas و « ترونشين » Tronchin
و « پرنجل » Pringle و « أنغل » Anville .

وفي عام ١٧٨٢ ظهر ستة تقریظات أخرى عن : « بورديناف » Bordenave
و « برونويل » Bernouillé و « مونتيجي » Montigpy و « دوهامل » Duhamel
و « مارجراف » Margraf و « فوكانسون » Vaucanson .

في عام ١٧٨٣ كتب كوندرسية تقریظات عن كل من :

« هانتر » Hunter و « إيلر » Euler و « دالمبيرت » D'Alembert و « بيزو » Bezout
و « تريسان » Treisan و « وارجنت » Wargent .

وفي عام ١٧٨٤ نشرت التقریظات الآتية :

« ماكير » Macquer و « موراند » Morand و « بيجمان » Begman و « كاسيني » Cassini
و « ميللي » Milly و « دوق پراسلين » Praslin .

وفي عام ١٧٨٥ ظهر تقریظ واحد عن « مركيز كورينثرون » Courtivron .

وفي عام ١٧٨٦ ظهرت ثلاثة تقریظات جديدة لكوندرسية عن :

« جيتارد » Guettard و « الأسقف جوا » Gua و « المركيز پولمي » Poulmy

وفي عام ١٧٨٧ كتب كوندرسية تقریظاً واحداً عن « بووارد » Bouvard

وفي عام ١٧٨٨ ظهرت أربعة تقریظات عن :

« الكاردينال « لينى » Luynes و « فوشى » Fouchy و « بيفون » Buffon

و « لاسون » Lassone .

وفي عام ١٧٨٩ ظهرت ثلاثة تقریظات عن :

« ترجو » Turgot و « فوجيرو » Fougereux و « كامبر » Camper

وفي عام ١٧٩٠ ظهر تقریظ عن « فرانكلين » Franklin

وفي عام ١٧٩١ ظهر تقریظ عن « فوركروى » Froucroy

و يدخل في هذه المجموعة مؤلفان لكوندرسية يغلب عليهما طابع سير التراجم

وهما :

(١) « حياة ترجو » عام ١٧٨٦ Paris 1786 "Vie de Turgot",

(٢) « حياة فولتير » عام ١٧٨٧ Paris 1787 "Vie de Voltaire",

ويرى « سيفيراك »^(١) أن كتاب « حياة ترجو » أقدم من كتاب « حياة فولتير » نظراً لفزارة المشكلات التي عالجها كوندروسيه بعمق في كتابه عن حياة صديقه « ترجو » .

ومن الممكن أن ندخل في المجموعة الأولى الكتابين :

(١) « مجموعة من المذكرات عن حالة البروتستانت في فرنسا » باريس ١٧٨١

Recueil des Pièces sur l'Etat des Protestants en France, Paris 1781

(٢) « تبرير » باريس عام ١٧٩٣ . Paris 1793. Justification,

والكتاب الثاني ناقص ، أى لم يكمله كوندروسيه إذ كتب العبارة الآتية في آخر صفحاته :

« متروك لتأليف كتاب (الملخص عن تقدم العقل البشرى) » .

المجموعة الثانية : وهى التى تجمع مؤلفات كوندروسيه عن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومعظمها مقالات وهى :

في عام ١٧٧٥ ظهرت مؤلفات كوندروسيه : « أفكار عن السخرة »

Réflexions sur les Corvées و« الاحتكار والمحتكر » Monopole et Monopolur

و« رسالة من عامل في بيكاردي » Lettre d'un Laboureur de Picardie

و« أفكار عن الفقه الإجرامى » Réflexions sur la Jurisprudence Criminelle

وفي عام ١٧٧٦ ظهرت لكوندروسيه هذه المقالات :

« حرية الصحافة » Sur la Liberté de la Presse

« أفكار عن تجارة القمح » Réflexions sur la Commerce des Blés

« آراء في القضاء على السخرة » Réflexions sur l'abolition des corvées

وفي عام ١٧٨١ ظهر له مؤلف بعنوان « أفكار عن رقى الزوج » .

ومن نهاية عام ١٧٨٦ إلى عام ١٧٩٤ ظهر لكوندرسيه عدد كبير من المقالات والتقارير والمشروعات والمذكرات والبيانات والأبحاث ذات موضوعات متنوعة وهي تدل على نشاط غير عادي للمؤلف وتلك المؤلفات هي :

عام ١٧٨٨ « مقالة عن دستور مجالس المقاطعات »

Essai sur la Constitution des Assemblées Provinciales, Paris 1788.

عام ١٧٨٩ « رسائل رجل مهذب » Lettres d'un Gentilhomme.

و « أفكار عن السلطات والتعليمات التي تصدرها المقاطعات لنوابها في الحالات العامة »

Réflexions sur les Pouvoirs et Instructions à donner par les Provinces à Leurs Députés aux Etats Généraux.

وفي عام ١٧٩٠ صدرت له مذكرات كثيرة عن تحديد الضرائب والنقود .

وفي عام ١٧٩١ ظهر له « إعلان مجلس الأمة »

Déclaration de l'Assemblée Nationale

وخمس « مذكرات عن التعليم العام » Mémoires sur l' Instruction Publique

وفي عام ١٧٩٢ صدر له « تقرير ومشروع لفتوى خاصة بالتنظيم الأساسي

للتعليم العام »

Rapport et Projet de Décret sur l'Organisation Générale de l'Instruction Publique.

وأيضاً « أفكار عن الثورة عام ١٦٨٨ وثورة أغسطس عام ١٧٩٢ ».

Réflexions sur la Révolution de 1688 et sur Celle du 10 Août 1792.

وأيضاً « تعليمات عن ممارسة حق السيادة »

Instruction sur l'Exercice du Droit Souveraineté.

و « رأى في حكم لويس السادس عشر »

Opinion sur la Jugement de Louis XVI.

وفي عام ١٧٩٣ صدر له « مشروع لدستور مقدم للمؤتمر الوطني »

Plan de Constitution Présenté à La Convention Nationale.

« رسائل عن الضرائب » Dissertations sur les Impôts

ومقال عن « معنى كلمة ثوري » Sur le Sens du Mot Révolutionnaire

وفي عام ١٧٩١ - ١٧٩٢ كتب «الصدق الحقيقي، الصدوق المزيف للشعب»
Le Vritable et le Faux ami du Peuple.

المجموعة الثالثة : وتشمل المؤلفات الفلسفية وتختلف عن المجموعتين السابقتين في قلة عدد المؤلفات الداخلة فيها ، ونقصد بمصطلح « فلسفة » ذلك المعنى الواسع المستخدم في القرن الثامن عشر الميلادي والذي كان يحتوى على الدراسات العميقة في أى فرع من فروع المعرفة . وهذه المؤلفات هي :

(١) « ملاحظات عن أفكار باسكال » باريس سنة ١٧٧٦ .
Remarques sur les Pensées de Pascal.

(٢) « أحاديث عن القبول في الأكاديمية الفرنسية » باريس سنة ١٧٨٢ .
Discours de Réception à l'Academie Française

(٣) « أحاديث عن الرياضيات » باريس سنة ١٧٨٦ .
Discours sur les Mathématiques.

(٤) « الفلك وحساب الاحتمالات » باريس سنة ١٧٨٧ .
Astronomie et le Calcul des Probabilités.

(٥) « رسالة فلسفية وسياسية ، أو أفكار عن هذا السؤال : هل من المفيد للناس أن يخدعوا » باريس ١٧٩٠ .
Dissertation Philosophique et Politique ou Réflexions sur cette

Question : S' il est utile aux Hommes d'être trompés.

(٦) « صورة عامة عن العلم الذى طبق الحساب فى ميدان العلوم الأخلاقية والسياسية » باريس عام ١٧٩٣ .
Tableau Général de la Science Qui a Pour Objet l'application du calcul

aux Sciences Morales et Politiques.

(٧) « ملخص للصورة التاريخية لتقدم العقل الإنسانى » باريس من عام ١٧٩٣ إلى عام ١٧٩٤ .
Esquisse d'Un Tableau Historique des Progrès de l'Esprit Humain.

هذه هي أهم المؤلفات الفلسفية لكوندنرسيه ويرى « سيفراك » الذى تخصص فى دراسة كوندنرسيه أنه لإكمال العرض السريع لمؤلفات كوندنرسيه ، يجب أن نشير إلى تلك المؤلفات :

(١) رسالة عن سويدنبرج إلى ؟

lettre sur Svédénborg à M.....

(٢) رسائل كوندرسية إلى « ترجو » و « فولتير » وغيرهما .

Sa Correspondence

(٣) « رسائل من رجل متدين إلى مؤلف قاموس » .

Lettres d'un Théologien à l'auteur d'un Dictionnaire.

(٤) « نصائحه إلى ابنه » Ses Conseils

(٥) قصيدة عنوانها : « رسالة لبولندي » Epître d'un Polonais.

(٦) وصيته Son Testament

نشرت مؤلفات كوندرسية كاملة في باريس عام ١٨٠٤ وقد قسمت إلى ٢١ جزءاً .
وبعد هذا العرض الموجز لمؤلفات كوندرسية أنتقل إلى عرض أهم مؤلفاته بشيء
من التفصيل ، وبعد كتابه « ملخص لصورة تاريخية لتقدم العقل البشري » أهم
مؤلفاته على الإطلاق وترجع تلك الأهمية لما يأتي :
١ - يعبر هذا الكتاب عن الجانب الأصيل في أفكار كوندرسية إذ لا تعدى
مؤلفاته الأخرى عن كونها سيراً للعلماء ومقالات سياسية واقتصادية وبعض التحليلات
الرياضية .

٢ - إن الظروف القاسية التي صاحبت هذا الكتاب أضفت عليه أهمية
كبيرة ، فقد ألفه كوندرسية وهو مختبيء بين أربعة جدران ، بعيد عن المراجع
والمكتبات ومعرض للمقصلة في أية لحظة .

أما عن العنوان الفرنسي للكتاب فهو :

Esquisse d'un Tableau Historique des Progrès de l'Esprit Humain.

ألف كوندرسية هذا الكتاب وهو في مخبئه عند مدام فيرنيه بشارع « فوسير »
بباريس ، وكان عنوان النسخة الأصلية ، المكتوبة بخط يده : بيانات عن صورة
تاريخية « Prospectus d'un Tableau Historique » ولقد ذيل كوندرسية تلك
النسخة الأصلية بالعبرة الآتية :

« في يوم الجمعة ٤ أكتوبر عام ١٧٩٣ ، وبالنظام القديم ، ١٣ من الشهر الأول للسنة الثانية للجمهورية الفرنسية » .

ونفهم من هذا أنه انتهى من كتابه قبل هربه من هذا المنزل بحوالى ستة شهور لأنه هرب في يوم ٢٥ مارس عام ١٧٩٤ ونفهم من ذلك أيضاً أنه كتبه في مدة أربعة أشهر تقريباً ، لأنه وصل إلى منزل مدام فيرنيه في ٨ يوليو سنة ١٧٩٣ ، وهي مدة وجيزة تدل على أنه ألف كتابه هذا بسرعة . وتتكون النسخة الأصلية من أوراق لها صفحتان ، كل صفحة مقسمة إلى عمودين أوقسمين ، وكان يكتب على اليمين أما على اليسار فكان يحدد التصحيحات ويضيف الزيادات التي يراها .

ظهرت الطبعة الثالثة والأخيرة لكتاب كوندورسيه في عام ١٩٣٣ بباريس تبع « مكتبة الفلاسفة الكبار » وقد راجع هذه الطبعة وقدم لها الباحث « پروير » O.H. Prior الأستاذ في جامعة كامبردج .

يرى « پروير » في مقدمته أن كوندورسيه كان يعتبر هذا الكتاب كقدمة بسيطة لدائرة معارف ضخمة ، ويستدل على هذه الفكرة بأن كوندورسيه عنوان كتابه باسم « بيانات لصور تاريخية » أى بيانات تمهيدية لصورة تاريخية .

وقد لاحظت دليلاً آخر يثبت فكرة الأستاذ « پروير » وهو أن من يطالع على كتاب كوندورسيه يلاحظ تكرار هذه العبارات :

« إننا سنبين كيف أن » « إننا سنشرح » « إننا سنثبت أن » وينتقل إلى أفكار أخرى دون أن يبين أو يثبت شيئاً وكأنه يقصد من استعماله فعل المستقبل أنه سيعالج هذه الأمور في كتاب آخر لاحق يعتمد فيه على المراجع والمصادر التاريخية ، وهكذا كان يأمل في إلغاء أمر القبض عليه ، وهذا أمر غير مستبعد إذا تذكرنا صفة التفاؤل التي تميز شخصيته .

وضع كوندورسيه كتابه هذا وهو في حالة بائسة ، فبعد أن كافح كفاحاً مريئاً لتحقيق إصلاح شامل وثورة قوية ، وجد نفسه من أوائل ضحايا تلك الثورة وهي الثورة ذاتها التي شارك في خلقها .

ونظراً لعدم وجود الأوراق اللازمة للكتابة كان كوندرسيه يستخدم أى ورقة تقع فى يده ، ولهذا نجده أحياناً يكتب خلف أوراق الإعلانات وأحياناً يستعمل أوراقاً غير مهذبة الأطراف، وكانت أخطاء الإملاء والقواعد والنحو كثيرة جداً بسبب السرعة ، وكانت التصحيحات الواردة فى العمود اليسارى من كل صفحة كثيرة ومعقدة . ويرى الأستاذ « كاهن »^(١) أنه من المؤكد أن كوندرسيه كانت لديه أسس كتابه هذا قبل هربه واختفائه عند مدام « فيرنيه » ، وهذا لقصر المدة التى ألف فيها كتابه .

وضع كوندرسيه خطة مفصلة جداً قبل البدء فى الكتابة ، هذه الخطة مرفقة مع النسخة الأصلية وكذلك وضع فهرساً لتقسيم الكتاب سار عليه إلى النهاية . ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب فى العام الثالث من إعلان الجمهورية الفرنسية ولكنها تختلف كثيراً عن النسخة الخطية لكوندرسيه . وكان الاختلاف فى التصحيحات وفى الإضافات التى وضعها كوندرسيه ، ثم ظهرت الطبعة الثانية فى عام ١٨٤٧ وهى طبعة « أراجو » ويرى الأستاذ « پروير »^(٢) أن هذه الطبعة أيضاً تختلف فى كثير من العبارات عن النسخة الخطية ، هذا رغم أن « أراجو » يعلن أنه راجعها على النسخة الأصلية الخطية ويوافق « كاهن » على رأى « پروير » الخاص بذلك ويؤكد عدم دقة طبعة « أراجو » ، وبسبب الاختلافات والأخطاء الموجودة فى الطبعيتين السابقتين أعاد « پروير » طبع الكتاب وجعله مطابقاً تماماً للنسخة الخطية ، أما العبارات التى وجدت فى طبعة « أراجو » ولم توجد فى النسخة الخطية الأصلية فقد وضعها « پروير » بين أقواس . ولذلك فإننى عند تسجيل آراء كوندرسيه لم أهتم بالعبارات التى بين الأقواس إذ يظهر لمن يقرأها أنها شروح كتبها « أراجو » لتوضيح آراء كوندرسيه . ورغم حالة كوندرسيه البائسة ، فقد وضع فى كتابه هذا أفكاره ونظرياته دون أن يسمح لظروفه الشخصية السيطرة على أفكاره وتحليلاته ؛ فقد نظر

Cahen : Condorcet et la Révolution Française, P. 28

(١)

Prior : l'Introduction Condorcet; Esquisse, Paris 1933.

(٢)

إلى الأمور نظرة موضوعية ، وأكبر دليل على ذلك أنه كان متفائلاً أشد التفاؤل بتقدم العقل الإنسانى وبالطور الذى سيؤديه فى المستقبل لخدمة الإنسانية ولم يشر مرة واحدة إلى ظروفه القاسية وحالته النفسية المضطربة وهكذا اتبع فى ذلك المنهج العلمى الذى يتميز بالموضوعية.

كتب كوندرسيه مؤلفه هذا فى أسلوب بسيط ولم يستعمل الاستعارات والتفخيمات ، وفى كل سطر كتبه تظهر فيه عاطفته المتحمسة لروح العلمية ولنموغ العقل البشرى .

ويرى الأستاذ « إلوود »^(١) أن كوندرسيه فى هذا الكتاب تابع مفكرى الثورة الفرنسية فى تقديسهم للإنسانية نظراً لقدرة العقل على الاختراع والإبداع مما يدفع الإنسان إلى الأمام دائماً وأيضاً يشاركونهم فى محاربة رجال الدين .

ويبين هذا الكتاب تقدم العقل الإنسانى كما هو واضح من عنوانه وفيه تحليل دقيق للمراحل التى تبين وتحدد التقدم الذى يحرزه العقل فى جميع الميادين .

يتبين لنا من العرض السابق أن « كوندرسيه » لم يكن بالشخص العادى نظراً لغزارة مؤلفاته مع تعدد موضوعاتها ونظراً لحياته الحافلة ، ولقد وافق الأستاذ « پروير » على قول الأديبة الفرنسية « ليسبيناس » « بأن الطبيعة لم تنتج رجالاً مثل كوندرسيه » ، ويضيف پروير « أستاذ جامعة كامبردج الذى تخصص فى دراسة كوندرسيه العبارة الآتية :

« إن من يتهم تقرير الآنسة « ليسبيناس » بالمبالغة عليه أن يطالع على مؤلفات هذا العبقري (كوندرسيه) وعندئذ سينصف الآنسة « ليسبيناس » ويتفق معها فى الرأى » .^(٢) وتتميز مؤلفات كوندرسيه بتنوع الموضوعات ، ومن حيث الأسلوب تجمع بين سهولة « فولتير » وتعقيد « فونتيل » وكذلك بين وضوح « بسكال » وعمق « نيوتن »^(٣) .

Ellwood : A History of Social Philosophy, New York 1944, P. 219. (١)

Prior : L'Introduction : Condorcet; Esquisse, Paris 1933. (٢)

(٣) المرجع السابق .